



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المرحلة: دكتوراه التاريخ الحديث

المادة: تاريخ الدولة العثمانية

العام الدراسي: ٢٠٢٥/٢٠٢٦

عنوان المحاضرة

النشأة العسكرية والدينية للدولة العثمانية

مدرس المادة

الاستاذ الدكتور يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني

النشأة العسكرية والدينية للدولة العثمانية

كان العثمانيون منذ نشأتهم الأولى يتميزون بطابعهم العسكري ،لأن مجتمعهم القبلي كان في حرب دائمة ،بل ان حركتهم باتجاه الغرب ترجع الى تلك الطبيعة ،بوصفهم جماعات قبلية سكنت في أواسط آسيا الصغرى منذ القرن السادس الميلادي ،برزت نزعتها العسكرية بسبب الظروف الصعبة المحيطة بها ، ثم تطورت أساليب العمل العسكري في هذه الجماعات بمضي الزمن وأصبح لها تقاليد عسكرية راسخة أسهمت في بناء دولة كبرى ،ثم صارت من أهم عوامل انهيارها فيما بعد .

التنظيم العسكري القبلي العثماني في الأناضول :-

لكي نفهم الظروف التي أحاطت بنشأة الدولة العثمانية والمؤسسة العسكرية فيها علينا ان نتتبع أحوال الحدود بين الدولة البيزنطية في البلقان واسيا الصغرى إذ أدت الحروب المستمرة بين الجانبين الى ظهور تنظيم عسكري ذي طابع خاص على جانبي الحدود،فقد تشابهت أوضاع مناطق الثغور على كلا الجانبين حيث كان السكان يواصلون القتال بالحماسة الدينية نفسها لدى الطرف الآخر .

كانت الغنائم توفر للثغور القاعدة الاقتصادية للحياة، فقد تزايدت العناصر المقاتلة التي كانت تعد الى مناطق الثغور من أقصى البلاد على جانبي الحدود ، اوجد ذلك الوضع خليطا من الجنسيات واللغات اضافة الى إيجاد عشائر محاربة مخصصة لزعمائها وتطمح الى أقصى درجات الاستقلال .

وفي أوائل القرن الحادي عشر الميلادي اشتد ساعد المجاهدين الذين كانوا يهاجمون أراضي الدولة البيزنطية وذلك لان قسما من العنصر التركي ممن هاجر في حركة الاوغوز الكبرى التي قادها السلاجقة قد انضموا الى الدولة السلجوقية الجديدة بوصفهم طبقة محاربة يتمتعون بالاقطاعات ،إذ كان المجاهدون قبل معركة ملاذكرد التي أوقع السلاجقة الهزيمة بالقوات البيزنطية عام ١٠٧١م وفي أعقاب تلك الهزيمة أصبحت إمارات الحدود البيزنطية تتجه نحو الانهيار إذ اندفع المجاهدون نحو الاستيلاء على المدن الواقعة قرب الحدود ،وقد أقام التركمان المغيرون الذين افلتوا من سيطرة السلاجقة بقيادة التوسع الجديد صوب شواطئ بحر ايجه وبحر مرمرة .

وبعد استيلاء هولاكو على بغداد عام (٦٥٦هـ — ١٢٥٨م) حدثت تداعيات في المحيط القريب فقد توجهت قبائل كبيرة من الأتراك فضلاً عن فلول الجيوش المنحلة ، صوب قونية التي عمدت بوجه عام الى توجيه الفارين صوب الأراضي الرعوية في مناطق الحدود حيث ازدادت إعداد العناصر المعادية لدولة السلاجقة ، وكانت نتائج اكتساح جنكيز خان لأراضي خوارزم شاه عام ١٢٢٠م (بروز) قبيلة (قايي) إحدى قبائل الغز التركية المعروفة إذ كانت برئاسة سليمان شاه ويلقب (كندوز ألب) بن قيا ألب إذ كانت تضم قرابة ألف فارس توجهوا الى بلاد الأناضول فاستقروا في (أخلاط) ثم توجهوا بعد ذلك الى قلعة جعبر وإثناء عبورهم نهر الفرات غرق في النهر ، وكان له أربعة أبناء انقسمت وجهاتهم بين العودة الى ديارهم في أسيا الصغرى والتوجه نحو الأناضول إذ نجح ارطغرل مع أربعمئة فارس بالتوغل في أملاك السلطان علاء الدين (كيخسرو الثاني) (١٢٣٦-١٢٤٦م) سلطان قونية ، بعد ان نال رضا السلطان ، وبعد مرور الوقت تم تثبيت وجودهم عند الأراضي المحاذية للأراضي البيزنطية إذ امتدت من يكي شهر الى قونيا تقريبا وكانت مساحة الأرض التي منحها السلطان علاء الدين تقدر بحوالي ألفي كيلو متر مربع استطاع ارطغرل ان يزيد عليها مساحة ثمانمئة كيلو متر مربع ، رغم تلك النجاحات كان عام ١٢٨٠م عاما مهما فقد توفي ارطغرل وتولى من بعده ابنه عثمان الحكم .

الدولة العثمانية في عهد السلطان عثمان (١٢٨٨ - ١٣٢٦م)

يعد عهد النشوء من العهود المهمة في تاريخ الدولة العثمانية ، فهو عهد تأسيس الدولة ونشأتها وتطور نظم الحكم والإدارة فيها ، وحكم خلال هذا العهد ستة خلفاء هم :

بعد وفاة أرطغرل عن عمر ناهز التسعين عاماً في سنة ١٢٨٨م، خلفه ابنه الأكبر (عثمان) الذي عينه السلطان علاء الدين، وسلّمه شارة الجهاد والسيف بواسطة رئيس المشايخ الصوفية بوصفه غازياً مجاهداً، فأصبح سيفه تقليداً للبيعة من بعده، وسميت الدولة باسمه.

ذكر اغلب المؤرخون أن عثمان تولى زعامة القبيلة في عام ١٢٨٠م بعد وفاة أبيه ارطغرل بناء على رغبة السلطان السلجوقي علاء الدين (كيخسرو الثاني) ١٢٤٦-١٢٨٣م. وقد باشر عثمان مع أفراد قبليته في مجاهدة البيزنطيين وعمل على تقوية كيان العثمانيين

أدى ضعف دولة سلاجقة الروم الى نقل السلطة الى أطرافها إذ أخذت إمارات تركية صغيرة تعمل على الاستقلال عن سلطة السلاجقة بحيث عجز سلطان قونية عن الحيلولة دون مهاجمتها لمناطق الثغور البيزنطية إذ أدى الغزاة دوراً أساسياً في شن هذه الهجمات الجديدة ،وفي مطلع القرن الرابع عشر الميلادي كانت الدولة السلجوقية قد فقدت غربي الأناضول الذي توزع على إمارات الغزاة الأتراك إذ قيض لإحدى إماراتهم -العثمانية - ان تسعى الى دولة عالمية مرتكزة على مؤسستها العسكرية القوية ، وبذلك عم طابع الغزاة إمارات الأناضول حيث أقرت (الفتوة) التي أقامت عليها هيأت إسلامية مختلفة وهي بمثابة قانون يقوم على ممارسة توجيه أسس الفضيلة على وفق تعاليم الإسلام لها ،وكان نشاط الفتوة في القرنين الثالث والرابع عشر مقتصرًا على تنظيم السكان داخليا وفي إبراز سمة التماسك في إطار المدينة وفي الإدارة .

ونتيجة لذلك استقادت إمارة عثمان من منظمات الفتوة والاخية أكثر من غيرها بفضل المميزات التي تمتعت بها لذلك تحولت حركة الغزاة الشعبية الى نظام شبيه بنظام الفرسان في أوروبا في العصور الوسطى وكانت طقوس تنظيم (الغازي) تشبه في بعض ملامحها طقوس تنظيم فرسان أوروبا الغربية كما تميز الغازي عن بعض السكان بلباس خاص على شكل قلنسوة بيضاء يرتديها غزاة ثغور غربي الأناضول .

هكذا كانت الإمارة العثمانية ميدانا رحبا لوجود فئات والاخية والفتوة الذين أدوا دورا في النشأة العسكرية للدولة العثمانية،وبعد وفاة السلطان السلجوقي علاء الدين (كيخسرو الثالث) عام ١٢٨٣م وتعرض دولته الى الضعف جراء الفتن الداخلية ولعدم وجود خليفة له فقد استغل عثمان تلك الظروف واستطاع بهيمته العسكرية الاستئثار بالمقاطعات التي كانت تحت حكم كخسرو الثالث واتخذ مدينة يكي شهر عاصمة له ولقب نفسه باد شاه آل عثمان وبدا تنظيم البلاد وبذلك ظهرت البداية الحقيقية للدولة العثمانية ومؤسساتها العسكرية .

بدا التنظيم العسكري الحقيقي الأولي للعثمانيين في عهد عثمان الذي عمل على توسيع ارض إمارته في الأناضول نظرا لانه كان يعد نفسه غازيا ومجاهدا في سبيل توسيع أراضي المسلمين مثله مثل بقية سكان الإمارات والمقاطعات التركية المتاخمة لحدود المدن البيزنطية وقد توج نشاطه العسكري بتأسيس الدولة عام ١٢٩٩م بعد استيلائه على أهم ممتلكات البيزنطية وبعض الإمارات التركية التي تحالفت مع المغول ضده وتخذ من حصن بورصة عام ١٣٢٦م عاصمة له.

يظهر لنا مما تقدم ان القبائل العثمانية كغيرها من قبائل الحدود في ذلك العصر الإسلامي كانت في مقدمة الخطوط العسكرية السلجوقية في صراعها مع القوات البيزنطية، وتركزت المهمة الأساسية لتلك القبائل في غزو القرى والمدن البيزنطية وكسب المزيد من الغنائم التي كانت مورد رزقها الأول لهذا برع العثمانيون في التنظيم العسكري واقتبسوا منذ البداية الأساليب العسكرية الإسلامية ثم تعلموا كثيرا من الأساليب العسكرية البيزنطية وطوروها فأصبحت الأساس الذي قامت عليه مؤسستهم العسكرية فيما بعد.

ان التوسع العسكري العثماني مر بمرحلتين متميزتين طبقا بصورة تكاد تكون منظمة ففي البداية كان العثمانيون منذ نشأة دولتهم يسعون الى فرض نوع من السيادة على الدول المجاورة ثم يتجهون بعد ذلك الى فرض سيطرتهم المباشرة على البلدان بالقضاء على أسراتها الحاكمة ، وكانت سيطرة العثمانيين المباشرة تعني في جوهرها تطبيق نظام التيمار (الإقطاع الحربي) الذي كان يقوم على التسجيل المنتظم لسكان المنطقة ومواردها في دفاتر .

وقد أتيح للدولة العثمانية حين نشأتها الأولى في منطقة جبلية في غربي الأناضول منفحة على بحر مرمرة وتشوبها الحرية النسبية تنظيم عسكري اجتماعي متحرك هيا لها فرصة كبيرة للنمو والقوة .

الدولة العثمانية في عهد السلطان أورخان (١٣٢٦ - ١٣٥٩م)

يعد أورخان المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية، فقد حوّلها من حكم قبيلة إلى دولة أخذت تؤدي دوراً خطيراً في حياة الإمبراطورية البيزنطية، سقطت مدينة بورصة في يده دون قتال، وذلك بعد أن احتل القلاع المحيطة بها، وحاصرها عشر سنوات، فاستسلمت، وأسلم حاكمها (أفرينوس)، ودفن أورخان أباه عثمان فيها، ونقل عاصمة دولته إليها.

واصل فتوحاته غرباً ففتح مدينة نيقية (أنيق) عام ١٣٣١م، ثم فتح نيقو ميديا (أزميد) عام ١٣٣٧م، وبذلك يكون أورخان قد سيطر على منطقة (بيثينا) كاملة، "وهي الأرض ما بين بحر مرمرة والبحر الأسود"، وأصبح بذلك بحر مرمرة الخط الفاصل بين العثمانيين والبيزنطيين.

كانت الدولة البيزنطية في حالة من الضعف سمحت لأورخان بالتدخل في شؤونها ، إذ وقف إلى جانب كانتاكوزين في صراعه ضد يوحنا باليولوغوس ونصيره إستيفان دوشان ملك الصرب والبلغار، فوافق أورخان مساعدة كانتاكوزين مقابل زواجه من ابنة كانتاكوزين (ثيودورا) فوافق ، وتم الزواج ١٣٤٥م، فأرسل قوة

عسكرية ثبتته على العرش، واتفق الطرفان المتنازعان على المشاركة في الحكم، فأصبح للإمبراطورية إمبراطوران، وهذا مما زاد ضعف البيزنطيين، وذلك في مصلحة أورخان، وفي عام ١٣٤٩ هدد دوشان القسطنطينية رغبة منه في احتلالها قبل أن يصلها أورخان، فاستجد كانتاكوزين بأورخان، فأرسل له حملة من عشرة آلاف جندي صدّوا دوشان.

وفي عام ١٣٥٣ تكرر هجوم البلغار؛ فاشتراط أورخان للتدخل الحصول على قلعة (تزيimb) في تراقيا على الشاطئ الأوروبي، وتم قبول طلبه، وتمكن من صد الهجوم بقوة ٣٠ ألف جندي عثماني ولم ينسحب العثمانيون من تزيimb، بل استقروا فيها وذلك يثبت أورخان أسس وقواعد الدولة العثمانية لخلفائه من بعده.